وداعاً يا «اسرائيل»

تأليف : افرايم سيفيلا

ترجمة : الطيب الرياحي

ونضال المرشومي

الجمهورية العراقية — دار الرشيد للنشر





الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

دار الرشيد للنشر

١٩٧٩

سلسلة الكتب المترجمة
(٧٣)


تليجرام
مكتبة سور الأزبكية



وداعاً يا "إسرائيل"

«مقتطفـــات»

تأليف : افرايـيم سَـيـڤـيلا

ترجمة : الطيب الرياحي و نضال المرسومي

مقدمة

تظل ضرورة الوقوف على حقائق مادية حول طبيعة الكيان الاستعماري العنصري القائم في فلسطين المحتلة مسألة أساسية في فهم ماهية هذا الكيان، وفي تقييم أهدافه المرحلية والاستراتيجية ، وأخيرا في تعبئة القوى الذاتية والموضوعية للجماهير من أجل الحاق الهزيمة به وتحرير الارض والانسان.

ولقد وقف الشعب العربي الفلسطيني وكافة شعوب العالم تقريبا بقواها ومنظماتها الثورية والتقدمية على حقائق مادية حول طبيعة الكيان الصهيوني والدور الذي يتولى تنفيذه في المنطقة وفي العالم . وكانت هذه الحقائق أكثر أهمية وأبلغ تأثيراً كلما ارتبطت بالساحة الداخلية لذلك الكيان اذ تجسّم نسبة تآكل هذا الاخير ، وتؤشر بدقة عوامل اسقاطه والقضاء عليه..

ولعل نسبة من هذه الحقائق المادية المعلنة في السنوات الاخيرة قد فرضت نفسها اعلاميا وأمتلكت قوة تأثيرها على نطاق واسع وبأشكال مختلفة . وينسحب هذا الحكم على الوثائق المهمة التي قدمتها على هذا الصعيد شخصيات يهودية تقدمية أمثال : « اسرائيل شاهاد » « عنصرية دولة اسرائيل » و « ڤيليسيا لا نغر » (بأم عيني ، وأولائك اخواني) ، و « مكسيم رودنسون » (اسرائيل والعرب) ، و « نانان ونيستوك » (الصهيونية واسرائيل) ، والبروفسور «طلمون» ، والصحفي «شبتاني طيفت» ،والعسكري السابق «ناداف كارميل ركاتس» .

ويعتبر كتاب « وداعاً يا اسرائيل ! » سجلا آخر يضاف الى عشرات السجلات التي أدانت الكيان الصهيوني بصوت مرتفع وبكلمات واضحة . وقد حرص مؤلفه ، وهو الكاتب والسينمائي اليهودي « أفرابيم سيڤلا » ، في ٣٤٣ صفحة من الحجم الكبير ، على فضح الكيان الصهيوني وتأكيد هشاشته وأندثاره في نهاية الامر ... وتعزى الموضوعية التي تسم هذه الوثيقة الجديدة الى معايشة المؤلف ، وهو يهودي سوفياتي ، لكل الحقائق المادية التي أوردها بالاضافة الى تفاعله معها ثم قرار الادانة الذي أصدره بناءً على المعطيات الحاصلة لديه .

واننا ، اذ نقدم مقتطفات من هذا الكتاب ، انما نأخذ بعين الاعتبار المرحلة الراهنة التي تمر بها الثورة الفلسطينية ، اذ تعلي من جديد الحقيقة الثابتة : اعرف عدوك .

ـ المترجمان ـ



الفصل الاول

تمرّد البُكم

(...) بدأت هجرة اليهود الضخمة من الاتحاد السوفياتي بعد أحداث ٢٤ شباط(*) . وتدفق على فلسطين المحتلة الآلاف من اليهود . ويوجد في الوقت الحاضر أكثر من مائة ألف مهاجر سوفياتي ، من بينهم عشرون شخصا ممن أشتركوا في الاضراب المذكور والذين تركوا البلاد حال حصولهم على موافقة « الكرملين » .

لقد مضت أربعة أعوام على كوني مواطناً في ما يسمى بدولة اسرائيل . التقيت مؤخراً برجل كنت قد عرفته في روسيا عندما كان يشغل منصبا مهما في صناعة السينما ، والذي كان يعتبر واحدا من أحسن منتجي الافلام . وفي فلسطين المحتلة لا يوجد من هو في حاجة اليه .

قال لي هذا الرجل كلمات مخيفة :

(*) في هذا التاريخ اعلن اربعة وعشرون يهوديا سوفياتيا الاضراب عن الطعام اثناء اعتصامهم في قاعة الاستقبال التابعة لمجلس السوفيات الاعلى الكائن في الساحة الحمراء في موسكو ، وطالبوا بحق الهجرة الى فلسطين المحتلة وقد حصلوا على هذا الحق بعد بضعة ايام من ذلك التاريخ . والمتحدث هنا هو مؤلف الكتاب الذي كان من بين هؤلاء اليهود .

«لو كان الامر بيدي ، لكنت نصبت لكم أربعا وعشـرين مشنـقة وشنقتكم عليها جميعكم دون أستثناء ، وذلـك لما جلبتم من شـقاء لآلاف البشـر الذين حـذوا حذوكم في الثغـرة التي فتحتموها باضرابكم اللعين كنت أنا واحداً من هؤلاء الذين تبعوكم » •

وقد حاولت التخلص عن طريق المزاح فقلت ان عشرين مشنقة تكفي ، حيث ما يزال هناك في الاتحاد السوفياتي أربعة من الذين أضربوا •

ـ حسناً ، كما تشاء ، أجاب بلا مبالاة • ولكن والحق يقـال لمـاذا أشنقكم ، فأنتم معاقبون بما فيه الكفاية اذ أنـكم في ما يسمى بدولـة اسرائيل • ص ٥٧ ـ ص ٥٨

الفصل الثاني

كيفَ أصبحتُ يَهُوديًا ؟

في هذا الفصل يتناول المؤلف ، من خلال تجربته الخاصة ، أسباب تولد « الشعور القومي » لدى اليهود السوفيات .

ـ المترجمان ـ



الفصل الثالث

دروس في الديمقراطية

ان كلمة « الديمقراطية » مستغلة في ما يسمى بدولة اسرائيل استغلالاً مخجلا ، وهي تخفي تحتها فوضى جوهرية هي أساس هذا المجتمع الذي ما يزال مضطرباً ومتذبذباً . فالسكان ، وكما يلعب الاطفال بعلب الكبريت ، لا يكفون - تحت ستار الديمقراطية - عن التخبط الاعمى في تصرفاتهم ، ولا يفهمون منها الا ما يخصهم ما داموا يطلقون العنان لأحط غرائزهم . ان الحرية المدركة على هذا النحو هي ليست طبعا الحق المقدس لكل مواطن في أن يكون محميا ضد هؤلاء الذين يحاولون البصق على وجهه ، بل بالعكس انها الحرية المطلقة لهذا الذي يعتدي على حرمتكم . وهذا النوع من الديمقراطية ينتج عدم الاحترام البربرى للانسان ، ويترك المجال - نظراً الى ضعفه - لانتصار الاوغاد ، لانتصار القوي على الضعيف . هذه الديمقراطية تحتقر وتمتهن الحياة الانسانية .

عندما يتجشم أحد العناء في عملية تفحص الارقام الرسمية عن كثب، يلاحظ أنها تعكس كالمرآة الجانب المضحك لهذه الديمقراطية .

ففي سنة ١٩٧١ مات ما يقرب من (٣٠٠) شخص وجرح ثمانون من مجموع ثلاثة ملايين نسمة ، وذلك بسبب حوادث الطرق . أما السواق المستهترون ، والذين لهم أفكارهم الضيقة عن الديمقراطية فيما يبدو ،

فانهم يدهسون في السنة الواحدة عدداً من الاطفال بامكانهم أن يملأوا مدرسة بكاملها • وفي كانون الثاني من سنة ١٩٧٤ سجل البوليس (١٢٠٤) حوادث و (١٨٦٥) ضحية • أرقام شهرية مفزعة « لدولة » بهذا الصغر •

الجنرال « حاييم هيرزوك » مسؤول الذخيرة والذي كان على رأس الاستخبارات الاسرائيلية والمسؤول حاليا بصفته صحفياً عن القضايا العسكرية في راديو وتليفزيون ما يسمى بدولة اسرائيل ، اكتشف مؤخراً أكتشافاً خارقاً للعادة من خلال دراسة الاحصائيات المقدمة من قبل الجيش • اذ أتضح بتحليل معطيات احدى السنين التي تعتبر أكثر هدوءً ، أي التي تمتاز عملياً بقلة المواجهات المسلحة على الحدود ، أن خمسة جنود فقط من مجموع (٢٥٠) جندياً كانوا قد لقوا مصرعهم من جراء اطلاق النار المضاد أو الالغام• أما بقية الضباط والجنود فانهم لم يموتوا على ارض المعركة وانما عن طريق حوادث السيارات وحوادث المناورات العسكرية • ويعتبر عدد حوادث العمل في مصانع يبدو أنها مجهزة بآخر صيحات العلم والتكنولوجيا مثيراً للقلق هو الآخر • ففي سنة ١٩٧١ وحدها توفي مائة شخص على اثر اصابات حدثت بسبب أنعدام مراعاة القواعد الاولية للتأمين ضد حوادث العمل ونجا (٨٠) ألف آخرون ولكن بجروح وتشويهات • وتعكس هذه الارقام لامبالاة اجرامية ازاء قيمة حياة الانسان • ياله من مستوى تافه للحضارة ! ان هذه الفوضى الجامحة التي تختفي تحت قناع الديمقراطية قد كلفت ما يسمى بدولة اسرائيل خسائر أكبر من تلك التي تكبدتها في الحروب التي خاضتها منذ ربع قرن من الزمن • ص ٨٣ ـ ص ٨٤

من الواضح أن المظاهرة والاضراب لا يمكن أن يشبّها بعمل من أعمال العنف من حيث أنهما شكل قانوني من أشكال الدفاع عن المصالح في مجتمع ديمقراطي متحضر • ولكن حينما تضرب ممرضات يعملن في غرفة العمليات وترجأ بسبب ذلك عمليات جراحية ، حينما تغلق أبواب العيادات والمستشفيات،

حينما تتعفن منتجات معدة للتصدير وتتكبد الدولة خسائر فادحة وأخيراً حينما تكف الطائرات عن الاقلاع ، عند ذاك تكون هذه الاعمال أقرب الى العنف ان لم تكن شكلا من اشكال الابتزاز • ص ٨٨

(•••) انهم (أي الاسرائيليون) يتباهون بنظامهم متعدد الاحزاب ، بالانتخابات الحرة ، بغياب دكتاتورية البوليس الذي يؤدي بالنتيجة الى أنعدام الخوف لدى المواطنين من الذين يتربعون على عرش السلطة •

ان هذه ديمقراطية حقة ، أليس كذلك ؟ كان من الجائز أن نغرق ، نحن اليهود السوفيات ، في بحر من فرح ونحن نستقر في ما يسمى بدولة اسرائيل •

ولكن يا للاسف ، فقد حاولنا ولم ننجح • أود قبل أن أسجل ملاحظاتي وأنطباعاتي الشخصية عن هذه المسألة ، أن أورد هنا رأياً لاحد المواطنين المهاجرين مثلي من الاتحاد السوفياتي ، ولكنني لم أتعرف عليه شخصياً ، كنت قرأت له مقالات في « بلادنا » المجلة الوحيدة التي تصدر باللغة الروسية في فلسطين المحتلة ، وكان تحت عنوان « ثمن الديمقراطية عندنا ! » يقول الدكتور « ليفشتز » :

« ••• من الواضح أن الديمقراطية هي فتح عظيم من فتوحات المجتمع واحدى نعمه الكبيرة ، الا أننا كلما أقتربنا من الحياة العامة والسياسية كلما ألفينا أنفسنا أمام وقائع نعجز عن تفسيرها •

من بوسعه تفسير هدف وأتجاهات العديد من الاحزاب الموجودة في فلسطين المحتلة ؟ من بوسعه فهم شيء معين يتعلق بحالة الاحباط التي تفرزها هذه الاحزاب على صعيد الحياة السياسية في البلد ، حيث يختلط الموضوعي بالذاتي ، والفكر الجريء بفكر القرون الوسطى ؟ ثم لماذا نجد في ما يسمى بدولة اسرائيل ، وهي التي لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة ملايين ، حوالي ثلاثين حزباً سياسيا ؟ » • ص ٨٩ ـ ص ٩٠

ولقد حاولت أنا شخصيا ، مثل الدكتور « ليفشتز » (وهذا ما لايمكنني اخفاؤه) أن أعمق مدلول الاشياء بخصوص هذه الادغال الكثيفة التي يمثلها نظام تعدد الاحزاب في اسرائيل ، وأن أفضح بالتالي هذه الديمقراطية الزائفة. أجل أريد أن أتحدث هنا عن زيف الديمقراطية . وقد كان لابـد مـن أن يتوفر لدي وقت طويل كي أتبين ماوراء حالة الاحباط حيث تتجسد السلطة المطلقة لحزب وحيد ، أو بالاحرى لتجمع أحزاب « أشتراكية » متآخيـة . ومن البديهي جدا أنه كلما تعدد في البلاد أحزاب وتجمعات صغيرة لا تمثل شيئاً أو أحداً ، وجد مجال متسع للغوغاء السياسية اللامجدية ، ووجد أسياد حقيقيون لهم هواية « تحقيق » الطغيان وحكم البـلاد بالطـرق القمعيـة والارهابيـة .

لا يمكنك ، في هذا البلد حيث يسود طغيان قاتل ، أن تحظى بترقية على عملك ، أو أن تحصل على عمل هام ما لم تكن منتمياً لذلك التحالف أو لم تبـد تعاطفك معه ، بل لا يمكنك أن تحلم بالحصول على قرض ذي قيمة ، أو على ترخيص يمكنك من فتح مشروع معين ما لم تكن تربطك علاقات وطيدة بمن هم في الحكم .

نعم لقد خدعنا جميعاً . وكل العالم يدري بما يجـري في ما يسـمى بدولة اسرائيل . لذلك فأنا لا أتعجب حين أعلم بأن هناك في الاتحاد السوفيتي أناساً يرفضون المطالبة بحقهم في الهجرة الى فلسطين . ولا أتعجب أيضا حين أرى تدفق هؤلاء الذين يغادرون فلسطين المحتلة يزداد يوما بعد يوم ، وقـد صعقوا بخيبة آمالهم وأحلامهم . ص ١٠٢

الفصل الرابع

ميلاد وسقوط الأساطير

(...) لقد كنت أنا شخصياً شاهداً على ميلاد عـدد من الاسـاطير . فلماذا أتكتّم عنها ، خصوصاً وقد ساهمت بدوري في ترويجها بجدية .

ها أنا أورد فيما يلي أولى هذه الاساطير :

لا وجود في ما يسمى بدولة اسرائيل لاناس غير مكترثين . كل فرد هنـا مستعد للقيام بأي عمل من أجل « نمو البلاد ومناعتها ! » .

تأملوا هذه الحقيقة المعلنة . من منا جميعاً لا يود العيش في مثل هذه البلاد مع مثل هؤلاء الناس ؟ ص ١٠٤

قد يقال لي : « لانك تخيلت بلداً لا وجود له فانك الان مذهول اذ ألفيته لا يتوافق وأحلامك . انك أنت المجرم وليست دولة اسرائيل !! »

ان الوجه الحقيقي لما يسمى بدولة اسرائيل الذي اكتشفناه ، والاسطورة القائلة بعدم وجود أناس غير مكترثين هناك يمثلان الصورة المختلفـة التـي حصلت لدينا عنها . سوف لن أثير في هذا السياق تجربتـي المريرة ، انمـا سوف أورد بكامل الموضوعية شهادات أناس أخرين أصابتهم الخيبة ، وكما سردوها لي دون حذف أو زيادة . ص ١٠٦

يقول المليونير « سيما دوبيني » ، صاحب قاعة لعرض اللوحـات في تل ابيب وذو صيت تعدى حدود فلسطين المحتلة : « كيف يمكن للاخلاق الحميدة أن توجد في بلد على الاساتذة ورجال القضاء فيه أن يبرموا عهـداً مقدساً مع الدوائر المكلفة برقابة الاداءات ، ويقسموا على وقائع مختلفة أملاً في خصم جزء ضئيل جدا من رواتبهم يمثل قيمة الاداءات المتعلقة بذمتهم » .

ويتساءل طبيب الاطفال في « مينسيك » سـابقا الدكتور « سـڤيتلانا سليوتينا » : كيف يمكننا أن نتكلم عن الاخلاق في هذا البلد ؟

يقول الدكتور سليوتينا الذي عمل سنة كاملة في بئر السبع قبل هروبـه من فلسطين المحتلة الى المانيا : « كنت اسمع اشاعات واشاعات تطـوف بين اليهود ، أو يبثها برنامج صوت اسرائيل » تقول ان الطب قد بلغ شاواً عاليـاً في اسرائيل ، وان نسبة عدد الاطباء الى عدد السكان في ما يسمى بدولة اسرائيل هي أعلى نسبة في العالم .. يا لها من دعاية وقحة !!

لقد اشتغلت عاما كاملا في جنوب البـلاد ، تنقلت خلالـه عبر أرجـاء « النقب » . وهناك شاهدت تجمعات سكنية زراعية ضائعة في الرمال حيث يعيش اليهود السود من أصل أفريقي أو آسياوي . يا لها من قذارة ، ويا له من اهمال للوقاية الصحية !! بينما كنت أجري فحصاً طبياً على الاطفال الذين يقطنون تلك الاكواخ المتداعية ، أكتشفت بينهم عددا كبيرا مـن الاصابـات بالالتهاب في الغشاء المفصلي . كما أن القيح يجري من آذانهم دون توقف ، ولا أحد يعير اهتماماً ولو على نحو ضئيل . ومن هؤلاء الاطفال من لم يلتق بطبيب منذ ولادته . فحركت ناقوس الخطر مطالباً بأتخاذ اجراءات عاجلـة لتدارك الوضع . ونبهت الى الحقيقة التالية : وهي أنه اذا كان هناك مئات من

العَجَزَ والمرضى في هذه الاماكن المنسية ، فذلك عائد الى الاهمال الذي تتعمده في ميدان الصحة . وقوبل سخطي بتهكم وضحك باردين من قبل زملائي الاطباء . ثم قرأت في عيون هؤلاء أشنع وصفة يمكن أن يقدمها طبيب الى مريضه ، وأعني بها وصفة اللامبالاة المطلقة ازاء مصير مرضاه ومصيره أيضا » .

« ليديا ليودكوفيتش » من وارشو ، مهندسة في ميدان المواصلات ، تعيش في فلسطين المحتلة منذ خمس سنوات حيث تشتغل بالقدس في مكتب الدراسات التابع لوزارة المواصلات ، تقول : « ... تلقيت تعليمي وكبرت في الاتحاد السوفياتي ، ثم اشتغلت لعدة سنوات في پولندا . ولذلك فانه بامكاني أن أعقد مقارنه بين نمط العمل في هذين البلدين من ناحية وفي ما يسمى بدولة اسرائيل من ناحية أخرى . ويعتبر ما لاحظته في هذه الاخيرة من كمل ضمن المسائل التي تكاد لا تصدق » .

خمسون شخصاً يقومون بأعمال مكتبية أو بالاحرى محسوبون على العمل ، أي أن جميعهم يستلمون رواتب قادة ، ويأتون في ساعة العمل المحددة . ولكن في الواقع هناك منهم خمسة أشخاص فقط يعملون . ماذا يفعل الآخرون اذن ؟ انهم لا يؤدون أي عمل يذكر ، ويحدث ذلك بمعرفة الجميع ودون أي حرج قد يعانون منه . انهم يأتون صباحاً : يوقعون لاثبات حضورهم ثم يختفون ، ولا يعودون الا قبل خمس دقائق من أنتهاء دوامهم كي يوقعوا ثانية ثم يخرجون دون شعور بالندم ، وكأن شيئا لم يكن . ولا أحد يتوجه اليهم بالنقد ، ولا أحد يسخط . لقد أعتاد الجميع هنا مثل هذا الوضع ، بل يجدونه طبيعيا جدا . انها في نظري بطالة مقنعة» .

ان مثل هذه الامثلة وغيرها تعرّي دعاية ما يسمى بدولة اسرائيل الكاذبة ، وتكشف نوع العلاقات التي تسود أفراد هذا المجتمع : وهي علاقات تذهب

العقل • ان النظارات الوردية التي يضعها المهاجرون الى فلسطين المحتلة تنكسر مع أولى خطواتهم على « أرض الميعاد » أمام أنعدام الشرف الصارخ ، أمام الكذب والمخادعة التي ترافق المهاجر الجديد حيثما أتجه •

في ما يسمى بدولة اسرائيل لا يفاجأ أحد ، بأستثناء المهاجرين الجدد ، بالحادثة التالية على سبيل المثال : اذا كان لديك موعد عمل ، وتعمدت المجيء من القدس الى تل أبيب ، فينبغي عليك الا تفاجأ عند وصولك بعدم وجود أحد في أنتظارك في الموعد والمكان المحددين ، وبوجوب أنتظارك عبثاً طوال اليوم• تلك مسألة عادية جدا •

في ما يسمى بدولة اسرائيل يمكنك أن تكون عرضة للسرقة من قبل أمين الصندوق في أبسط محل أو في متجر كبير على حد سواء ، ان لم تنتبه جيدا الى الارقام التي يسجلها على الآلة الحاسبة • وفي حالة تفطنك الى سرقة واضحة، فان أمين الصندوق لا يخجل ولا يسمح لنفسه حتى بالاعتذار لديك ، بل انه يلقي بنقودك بأحتقار شديد • ولا يسعدك حينئذ الا أن تغتبط اذ لم تتلق منه الشتائم • ص ١٠٩ ـ ص ١١٢

(•••) في ما يسمى بدولة اسرائيل يظهر أنعدام الشرف بسرعة على السطح ، مثل ذبابة عفنة فوق الماء البلوري الصافي ، ويثير حالا ردود فعل مختلفة لدى المجموعة • في ما يسمى بدولة اسرائيل يمكنك أيضا أن تكون عرضة للسرقة والنهب معاً • وهنا تسقط أسطورة أخرى : وهي أسطورة الشرف • ص ١١٣

تقول « ڤيدا أولشان » ، المغنية ، وقد تركت هي الاخرى ما يسمى بدولة اسرائيل الى الابد وتعيش الآن في برلين الغربية :

« ... عند وصولي الى فلسطين المحتلة وقعت عقداً مع «جيورا غوديك» مدير أحد المسارح • كان العقد جيدا ، من شأنه أن يمكن عائلتي من العيش • وأنغمست في العمل دون أن أعير أهتماماً الى صحتي • وكانت الحفلات تتوالى، وكان الجمهور يلاقيني في كل مرة بأستقبال حار • وظننت أنني محظوظة فعلا ، ولكن مدير المسرح أختفى فجأة .. لقد غادر ما يسمى بدولة اسرائيل وحمل معه أجري كاملا • وظللت لا أملك فلساً واحداً • ولم أتلق سوى سخرية الوسط الفني والعائلة لقاء الثقة العمياء التي كنت قد أعطيتها لذلك الشخص • ص ١١٥

وتظل أسطورة قوة ما يسمى بدولة اسرائيل العسكرية التي لا تقهر اكبر الاساطير ، إذ كلف سقوطها الكثير وما يزال يهرق الدماء بغزارة •

خلال محاولاتي غير المجدية غالباً والتي أبذلها في معرض رفضي للاساطير، أصل أحياناً والمختلفين معي في الرأي الى طريق مسدود • وعندها يلقون في وجهي بالحجة الاخيرة ، بالاسطورة التي لا تتحطم :

— نعم ، ولكن جيشنا هو أفضل جيش في العالم • يمكنك أن تنتقد الحكومة بالقدر الذي تريد ، ولكن الجيش هو الكمال • ص ١٨٨

(...) ماذا يمكن أن يقال عن جيش خلقته « الدولة » ، وهو في منزلة الابن لأمه ! من المستحيل ألا يحمل الطفل أمراض وعيوب أمه التي أنجبته • ولايمكن أن تكون في الامر معجزة • انه نفس الجسد الواحد بأوردته المتصلة فيما بينها • والتعفن الذي يصيب جزءاً ما من هذا الجسد لابد من أن تظهر آثاره على الجزء الآخر • واليوم جميعنا على علم بأن الجيش « الاسرائيلي » يعاني من نفس الامراض التي يعاني منها ما يسمى بالمجتمع الاسرائيلي • ان

الادعاءات المتعلقة بالمزايا الفريدة لهذا الجيش ، وانتصاراته التي تكاد تكون سحرية قد تحولت كلها الى فقاعات صابون دموية كان لابد لها أن تنفجر خلال حرب الغفران (حرب تشرين) • ولقد سبق لي أن حاربت هذه الاسطورة ، بالرغم من أنه لم يكن قد مضى وقت طويل على استقراري في فلسطين المحتلة • وكنت قد نبهت الى الحقيقة قبل أندلاع الحرب • لقد كانت الحقيقة صارخة ، ولكن كان يجب أن تتوفر الشجاعة لكل من يريد الوقوف عليها بدل أن يدفن رأسه في الرمل ، مثل النعامة • ص ١١٩

وهكذا سقطت أمام أعيننا آخر الاساطير : أسطورة الكفاءة العالية التي يمتلكها الجيش « الاسرائيلي » والخبرة المتفوقة التي يتمتع بها قادته• ص١٢١

الفصل الخامس

لا يُصلح العطّار ما أفسد الدهر

« ان مصير أية بذرة انسانية ، مهما كان المستوى الذي تحمله من الايديولوجيا الصهيونية ، هو التدمير التام اذا كانت مزروعة في تربة مسمومة بفعل الكراهية التي يحملها اليهودي لاخيه اليهودي • » هذا ما كتبه المهاجر السوفياتي « يودين » في مجلة « المنبر » وهذا مواطنه القديم « ليونيد جلفون » يلاحظ بذهول ما يلي :

« في اسرائيل يتعايش اليهود على نحو سيء ، وهم مستعدون للقيام بكل الاعمال الخسيسة • فكلمة « يهودي » لا تستعمل دون اضافة شيء ما اليها •

فيقال مثلا : هذا يهودي روماني ، وهذا يهودي مغربي ، وهذا يهودي روسي، وهذا يهودي جورجي ••• الخ وأحياناً يعمد الى حذف كلمة « يهودي » • فيقال : هذا سارق روماني ، وهذا سكّير روسي • أما ما يتعلق باليهود الاتراك فأنا لا أجرؤ على ذكره في المجلة • وأحيانا أسمع الصفة التالية : « وجه (السكير) الاسود ! » ان مثل هذا اللقب العنصري الشائن لا يطلق الا على اليهود الآسياويين والافريقيين •

تشاجر أبني ذات يوم مع طفل من أبناء الجيران • وحين التقتني أمه في المدرج بصقت في وجهي وصاحت : « انتظروا ! لسوف نقطع رقابكم عما قريب !! » •

وهكذا ترون مدى التوتر الذي يسود بين كافة المجموعات العرقية التي تؤلف سكان اسرائيل ، وهو ما دأبت على انكاره الاوساط الرسمية ». ص١٢٦ ــ ص١٢٧ .

ان لهيب الكراهية العرقية يهز ما يسمى بدولة اسرائيل . فما كادت سورة الغضب تخمد في « مدغال كايميك » حتى أوشك الدم أن يتدفق في « أشدود » . أما السبب فهو التسريح المهين وغير المبرر لبضع عشرات من عمال الموانىء الجورجيين . وقد ترك هؤلاء الرجال مع زوجاتهم دون مؤونة ، وحينما طرقوا أبواب مختلف المنظمات طلبا للمعونة وبدون أن يعرفوا لغة أهل البلد أو عاداتهم وتقاليدهم كان مصيرهم التجاهل والاستهزاء والطرد . وهكذا أعلن هؤلاء الجورجيون اضراباً أمام دار العمدة في « أشدود » ، وأنضمت اليهم النساء والاطفال . وأمام أعين الجميع وتحت الشمس المحرقة ظل هؤلاء الاشخاص المصممون أياماً عديدة دون طعام . هل حركت معاناتهم قلوب اليهود الآخرين ؟ بالعكس . فقد أخذ سكان المدينة ، اليهود أيضا ولكن من بلدان أخرى : من المغرب ، وبولونيا ، وهنغاريا ، والذين جاؤا الى فلسطين المحتلة قبل مواطنيهم الجورجيين بوقت طويل لاهداف مختلفة ، أخذوا يسخرون ويهزؤن بشكل سافر من معاناة هؤلاء ولم يترددوا في أستعمال صفات جارحة ومشينة الى درجة لا يجرؤ معها حتى أي كاره لليهود على تلفظها . حينئذ حدث الانفجار . فما جبل عليه الجورجيون من طبع ساخن اضافة الى ادراكهم لحالة الحصار التي يعيشونها ، كل هذا قد رمى بهم وبكل اليهود الجورجيين القاطنين في فلسطين المحتلة دون أستثناء في شوارع « أشدود » . فأقيمت الحواجز ، وحطم زجاج المخازن المتواجدة هناك . وخيم على المدينة جو لمجازر جديدة لليهود ، ولكنها هذه المرة بين يهود ويهود . أما سكان المدينة القدامى فقد طلبوا ، وهم في حالة من الرعب والهستيريا ، أستقدام قوات مسلحة لتهدئة النار التي

أجّجها هؤلاء « القوقازيون القذرون » . وحتى الصحف اليهودية نفسها أنضمت الى الكورس وطالبت بدم اليهود الجورجيين . ص١٢٨-ص١٢٩

ولكن هناك تياراً آخر ربما أهم وأخطر يقسم ما يسمى بالمجتمع الاسرائيلي الى معسكرين متعاديين بصورة فعالة أنطلاقاً من مبدأ عنصري : وهو لون البشرة . فهناك اليهود البيض واليهود السود . والبيض هم مهاجرو اوربا وأمريكا . والسود هم الآسياويون والافارقة . وحتى الدين اليهودي الواحد عاجز عن مد جسر بين هذين المعسكرين حيث يشهد المرء في اسرائيل ظاهرة تماثل في طبيعتها المذهلة ظاهرة وجود حاخامين أكبرين : الحاخام الاشكينازي والحاخام السفارديمي ، كما لو كان الشيء طبيعياً في حين يثبت رسمياً الفصل العنصري لشعب أبتدع الوحدانية في عبادة الرب ، والذي يرسم اليوم حدوداً شائنة أمام اله واحد ، ويفرق بين مواطنيه واخوانه في الدين حسب معايير أعداء اليهودية نفسها على مر القرون : المعايير العنصرية .

يشكل المذهب « السفارديمي »(*) في الوقت الحاضر أكثر من نصف سكان الكيان الصهيوني . وبما أن لهم أطفالا أكثر من « الاشكينازين»(*) فسوف يصبحون عما قريب أغلبية ساحقة . ويلاحظ ذلك بوضوح في الجيش حيث تزوده العائلات السفارديمية العديدة بثلاث أرباع قوامه من الجنود . أما الاشكينازية فستحصل في المستقبل القريب على وظائف قيادية وفي القوة الجوية التي تتطلب عادة مستوى مرتفعاً من الثقافة .

وعدا مسألة لون البشرة ، هناك أيضا العامل الاقتصادي الذي يفصل جذرياً بين الجماعتين السفارديمية والاشكنازية ، ويحملها على التنافر . فالاغلبية العظمى من ذوي الثروة والطبقة الوسطى كلها تقريبا من السكان

(*) نسبة الى « السفارديم »وهم اليهود الشرقيون ، والى «الاشكينازيين » وهم اليهود الغربيون

هم أشكينازيون • في حين أن السفارديم وحدهم هم الذين يعيشون في الضواحي الفقيرة مثل « هاتيكفا » ، تل أبيت أو القدس • وحسب الارقام الرسمية فان الـ (١٣٢) ألف عائلة التي تشق حياة بائسة غير جديرة بالوضع البشري هي بالدرجة الاولى عائلات سفارديسية •

ما هو السبب في هذه اللامساواة الاجتماعية الصارخة في بلد ما تزال ذكرى انشائه ، من قبل حفنة من المهاجرين الى أرض شبه صحراوية ، ماثلة في أذهان جيلنا الحاضر ؟ من هو المسؤول ؟

٥١ر٣٣٪ من المهاجرين الذين وصلوا اسرائيل ما بين ١٩٤٨ و ١٩٧٢ هم ذو أصل افريقي أو آسيوي ، وما تبقى منهم فقد أتى من اوربا وأمريكا • وفي الوقت الحاضر يعيش ٢٠٪ من اليهود في اسرائيل ، في حين أن ٦٪ فقط كانوا يتواجدون هناك خلال السنوات الاولى لانشاء « الدولة » ٦٠٪ تقريباً من الذين وصلوا ما بين ١٩٤٨ و ١٩٧٢ كانوا قوة فعالة ، و ٣٠٪ أطفالا تقل سنهم عن ١٤ عاماً ومن الجدير بالذكر أن ٥٧٪ من القوة الفعالة كان قوامها مهاجرون مناسيا وافريقيا ، بينما ألف مهاجرو أمريكا وأوربا ٧٢٪ منها • وكان عمر المهاجرين لا يتعدى ٢٥ سنة •

(•••) بات السفارديم منذ خطواتهم الاولى على تراب « وطنهم التاريخي » (!) شحاذين بؤساء بالمقارنة مع اخوانهم من الدم والعقيدة الاشكيناز الذين وجدوا الاوضاع مهيأة لهم منذ لحظة وصولهم •

كان السفارديم يفدون على فلسطين المحتلة من أصقاع شبه اقطاعية ، غير متطورة كانت سابقاً مستعمرات • ويحملون معهم كل السمات الطبيعية للتأخر المفزع الذي عليه بلدانهم الاصلية • لقد كان جميعهم تقريباً أميين • وكان معدل الولادات عندهم مرتفعاً • كما كان يعوزهم التكوين المهني • وكانوا معتادين على الجهد البدني والامراض المزمنة والتعسف ، مما كان يجر غياب المبادرة لديهم اضافة الى القدرة على توجيه حياتهم الجديدة •

لقد كانت هذه الموجة من المهاجرين أختباراً حقيقياً لما يسمى بدولة اسرائيل وللصهاينة « الاشتراكيين » في الحكم • ودل هذا الامتحان التاريخي على هزيمتهم الساحقة ، كما أوضح السمات الاولى والخطيرة لوهن أفكارهم الاجتماعية منها والسياسية • ووضعت عائلات السفارديم في بيوت مؤقتة سرعان ما أصبحت دائمية : في أكواخ حقيرة بنيت على عجل ، وتؤلف اليوم « العاباروت » ، وهي أحياء تنتشر منها روائح الفقر المدقع والوخم والمخدرات والجريمة والبغاء • انهم يسكنون غرفاً صغيرة لم تكن تسع في الماضي أكثر من شخصين • أما اليوم فيسكنها ثلاثة أضعاف ذلك العدد • (٢٥) ألف مراهق لا يدرسون ولا يعملون ، بل يتسكعون دون توقف في الاحياء الغنية التي يسكنها الاشكيناز حيث يؤلفون عصابات من الاشرار الصغار ، وقطاع طرق من « زغب الحواصل » •

(٣٠) ألف فتاة طالعة من نفس هذه الاحياء ، مطليات بالمساحيق بشكل عشوائي ، غير جذابات كبغايا ، « يزوّقن » جدران المدن « الاسرائيلية » واذا كتب لك أن القيت نظرة داخل السجون المكتظة والموروثة عن البريطانيين فانك ستلاحظ أن أغلبية اليهود الذين ينظرون الى العالم من خلف القضبان هم هؤلاء السفارديم • ص١٣٢ - ١٣٣ •

أما العائلة من الاشكيناز ، وهي التي تتمتع بوضع مادي جيد ، فانها ترسل أبناءها (القليلين نسبياً) الى أحسن المدارس والجامعات دون التفكير في النفقات • بل انهم يرسلونهم الى الجانب الآخر من المحيط الاطلسي • أطباء ومحامون ومهندسون وبيداغوجيون : جميعهم ينتمون الى هذه العائلات • ويرث الاطفال المحلات الكبيرة والمعامل والوظائف الجاهزة ذات الرواتب والمكافآت الجيدة في الاجهزة التابعة للحكومة •

ويكبر الجيل الجديد من السفارديم في أوضاع مختلفة تماماً ويحصل على ارث من نوع آخر • فالاطفال الذين هم في سن الدراسة يتوقفون ذات

يوم عن الذهاب الى المدرسة مفضلين الشارع عليها . ولا يصل منهم الى الجامعة سوى عدد ضئيل جدا ، ومن ثم يفتحون لهم مجالا في الشرائح الفوقية للمجتمع والتي تستقبل على مضض هؤلاء « الملونين » .

ولنتذكر الان الفضائح التي رافقت أنتخابات عام ١٩٧٣ . تعتبر وظائف رئيس الجمهورية في مايس بدولة اسرائيل شرفية بكل ماتعنيه الكلمة ، أي أن هذا الشخص لا يلعب سوى دور مزخرف ، وليس له أي تأثير على حياة « الدولة » . بل ان « نفوذه » (وليس لدينا غير هذه الكلمة) أقل حتى من « نفوذ » ملكة بريطانيا . وهكذا لم يترك لليهود الشرقيين حتى هذه الرئاسة الاصطلاحية الشكلية . فالاشكيناز وحدهم الذين حكموا بالامس يحكمون اليوم هناك متلاعبين دائماً بالطرق الشرعية وغير الشرعية خلال الانتخابات بأصوات السفارديم المتصاعدة . ومع ذلك كان من المحتمل أن تترك السدة الشرفية لليهود الشرقيين ، على ذلك يخفف مشاعر النقمة لديهم . يومها قدم اليسين مرشحين أثنين : الابيض « أفرايم كاتزير » والاسود « اسحاق نافون »(*) .

وقف السفارديم ، وهم المخدوعون الى جانب مرشحهم ، وجسمو تأييدهم له من خلال مظاهرات عارمة . ولقد كان هناك من الاشكيناز أنفسهم من راى في ذلك مظهرا من مظاهر العدالة ، الا أن التنافر القوي الذين يسود المجموعتين اليهوديتين ، والعداء المتأصل الذي تكنه النخبة الحاكمة نحو « الملونين » قد جعلا « الحكماء » من الاشتراكيين المزعومين في الحكومة يدقون اقواس الخطر . وهكذا تم انتخاب رئيس أبيض وهو « أفرايم كاتزير » على حساب السفارديم الذين كانوا قد تكبدوا خسارة كبيرة أصيبوا من ورائها بصدمة عميقة . ص ١٣٤ ـ ص ١٣٥

(*) واخيرا تم انتخاب اسحاق نافون رئيسا للكيان الصهيوني خلال النصف الاول من عام ١٩٧٨ ـ المترجمان ـ

هناك مسألة أخرى تكاد لا تصدق لولا أنها مؤكدة من طرف الاحصائيات الرسمية ، ونعني بها مسألة التزاوج . فحالات الزواج المختلط بين يهود المجموعتين نادرة جدا ، وهي لا تتجاوز بأي حال من الاحوال ١٢٪ ، بينما نجد في الولايات المتحدة مثلا أن نسبة حالات الزواج بين اليهود والمسيحيين تصل الى ٤٠٪ . ص ١٣٧ .

«...» ونختم هذا الفصل بتعرية الوجه الاكثر تمثيلا لعنصرية الصهاينة والذي يجسمه « الفلاحون » وهم يهود سود منحدرون من أثيوبيا ومتشبثون بعد بأرتداء الوزرة ، ويعيشون قبائل منطوية على نفسها . ولا يختلفون عن جيرانهم السود في شيء سوى أن تعلقهم بالديانة اليهودية تعلق أعمى يدفعهم ، مثل جميع يهود العالم ، الى انهاء صلواتهم بالدعاء التقليدي « العام المقبل في القدس ! » .

واليوم وقد تحققت أمنيتهم فقد وقعوا في أتون الكراهية العنصرية ، يصبون الزيت على النار بلون جلدهم وشخصيتهم الزنجية .

ويتركز هؤلاء « الاخوة السود » في جنوب فلسطين المحتلة ، في مدينة « ديمونا » بأعتبارهم يهوداً مهاجرين . وهم يصرحون بأنهم يهود حقيقيون في حين أن بقية السكان مؤلفين من غير أحفاد ابراهيم ؛ ومن هذا المنطلق كانت لديهم الرغبة في اعادة بناء اسرائيل حسب ذوقهم . وينبهون أيضا الى أن اليهود السود الوافدين من أمريكا كانوا قد سمعوا صوتاً يخاطبهم من السماء ويعدهم بفلسطين ، الارض المروية لبناً وعسلا . ص١٣٧-ص١٣٨ .

ويرى جهاز الأمن أن « الاسرائيليين السود » يشكلون خطراً جسيماً على السلم ، وأنهم يشكلون بؤرة للتآمر . كما أن اتصالهم مع الصين الشعبية ومنشوراتهم السياسية والدعم المالي الذي يتلقونه من الخارج ما فتئت تشكل عاملا من عوامل القلق لدى أجهزة الامن . ويشير « دان أڤاري » الى أنه يمكن في الحالات الطارئة تعبئة من عشرين الى ثلاثين شرطياً وعدد كبير من المدنيين الذكور لمواجهة فريق مؤلف من (٢٥٠) عنصراً من

« الاسرائيليين السود » ، اذ لا أحد يعلم بما يدور في رؤوسهم ومتى سوف ينتقلون الى طور العمل • ص ١٤٠

هناك أيضا هوة عميقة ما تزال تقسم سكان فلسطين المحتلة هؤلاء الذين يؤلفون ما يسمى بدولة اسرائيل ، ونعني بها المواجهة الجارية بين الاقلية المتدينة والاغلبية الملحدة • فبالرغم من عددها المحدود تمتلك الاقليات الدينية نفوذاً قوياً يحدد بنسبة كبيرة الهبات المالية الواردة من الخارج • ولهذا السبب نجد قادة اسرائيل الاشتراكيين المزعومين الذين هم ملحدون بالاساس يفسحون لها المجال شيئاً فشيئاً ، ويجعلون بالتالي الوضع على أمتداد البلاد أكثر قابلية للانفجار •

تظهر التنازلات التي تقدمها الحكومة للمتدينين والامتيازات التي تمنحها لهم في مدينة القدس على وجه الخصوص • ففي الحي القديم المسمى بحي « مياشاريم » تعيش طائفة دينية متعصبة تدعى «نيتوراي كارتا» (حراس الليل) ، يرفض هؤلاء علانية الاعتراف بالحكومة ويرفضون بالتالي الخضوع للقوانين المشرعة • هؤلاء اليهود الارتودكس لا يدفعون الضرائب ولا يؤدون الخدمة العسكرية ، ويأتون أعمالا تدخل الاضطراب على أبسط القوانين المدنية • في حين تلتزم الحكومة الصمت والتعامي الكاملين • ص ١٤٢ - ١٤٣

كتب « ن • غوتين » في مجلة « المنبر » معلقاً على القصة المحزنة لفتاة « اسرائيلية » أحبت شاباً سويسرياً مسيحياً • ولكن رجال الدين المتعصبين أصروا على رفض الزواج بالرغم من أن الشاب قد أعلن عزمه على أعتناق الدين اليهودي في سبيل الاحراز على فتاة أحلامه : « يبدو أننا نعيش في بلد يمكن لقوانينه أن تحول الانسان المتحضر الى انسان مجنون • ذلك أن تركيب أجهزتنا ودوائرنا يمثل تحدياً لابسط شروط المنطق • وهذا يعني أننا نحن الذين خلقنا وتتحمل كل شيء لسنا بشراً طبيعيين ومتحضرين » • ص١٤٨

الفصل السادس

انشــاء ما يســمى بدولة اسـرائيل سـبب تدهور وضـع المجموعـة اليهودية في الأتحاد السوفياتي

ان اليهود السوفيات الذين كانوا ينوون الهجرة الى فلسطين المحتلـة لم يكونوا يعرفون حينئذ أنه لم يكن لهم هناك موطىء قدم • ولم يكن دور الكيان الخبيث في هذه اللعبة الدولية غير الشريفة التي أحاطت باليهود الروس متوقعاً حتى في أكثر الاحلام طيشاً • ص ١٨٢

(•••) ورغم ذلك ففي ڤيينا ، حيث ما يزالون (أي اليهود) بعيدين عن الارض الموعودة ، كان أول أتصال لهم مـع الموظفين « الاسـرائيلين » بمثابة ضربة عصـا •

وهذه شهادة « ميشيل تاليسمان » المنشورة في الجريدة «الاسرائيلية» «المنبر» التي تصدر باللغة الروسية : «ڤيينا» ١٩٧١ • تصل طائـرة تحمـل مهاجرين من روسيا • يستقبلهم في المطار أحد الجلاوزة ويقذف في وجوههم بهذه الكلمات :

ــ ماذا أتيتم تفعلون هنا ؟ هل يوجد في اسرائيل ما يغري ويفتن !

ثم يختتم قائلا :

ـــ لو كان لي مكان أذهب اليه ، لخرجت منها حالا . » وهكذا أُطفيء بسرعة وخشونة حماس الوافدين الجدد الملتهب . وبدأ فيض الرسائل المأساوية يتدفق من الكيان الاسرائيلي الى الاتحاد السوفيتي . كانت هذه الرسائل تصف الحقيقة وتلتمس التوقف قبل فوات الاوان وعدم الهجرة بأي حال من الاحوال .

وعندئذ مثل اخر مشهد من مأساة اليهود الروس . وأخذ هروبهم من الاتحاد السوفياتي يتواصل ويتحول سلباً الى هروب . ولكن الى أين؟ هذا هو المجهول . في ما يسمى بدولة اسرائيل تقتل بقايا المشاعر القومية لليهوس الروس ، ويدفع بهم الى التمثل(*) . ص ١٨٤

(*) التمثل في علم النفس هو تكيف سلوك الفرد وفقا لحياة الجماعة عن طريق اقتباس المواقف والعادات الشائعة .

المترجمان

الفصل السابع

« الاشتراكية » "الاسرائيلية" بين الواقع والادعاء

كان الاشتراكيون الديمقراطيون في روسيا قبل انتصار الثورة منقسمين الى قسمين : (البلشفيك والمنشفيك) كانوا متخاصمين ثم تحولوا الى أعداء لانه لم تكن لديهم نفس الافكار حول طريقة بناء الاشتراكية بمعنى سعادة الانسان . وكانت الغلبة في النهاية للبلشفيك . أما الفلول المتبقية من المنشفيك فقد هربت الى فلسطين . ص ١٨٨

وذات ليلة دوى رصاص الاعدام على أحد شواطىء تل أبيب . ومن الغد كانت المجموعة اليهودية في فلسطين تتناقل النبأ : لقد أغتيل خاييم أرلوزوروف ، أحد أبرز أعضاء الحزب الاشتراكي المزعوم . وبدون تجشم عناء كبير في البحث عن ظروف موته ، وجهت التهمة الى أعداء الحزب الاشتراكي المزعوم من الحزب الصهيوني التحريفي بزعامة جابوتنسكي . حدث هذا عشية الانتخابات في المجموعة اليهودية المساة « ايشوف » التي كانت بدورها تحت الانتداب . وكانت الهزيمة في الانتخابات حليفة التحريفيين الذين يعرفون أنهم المسؤولون عن الجريمة ، في حين تمكن ما يسمى بأشتراكيي حزب بن غريون من فتح طريقهم الى السلطة منذ ذلك الوقت والى يومنا هذا .

ومنذ ذلك التاريخ جدت أحداث كثيرة . فقد ترك الانكليز فلسطين ، وها هي «دولة اسرائيل» موجودة منذ ثلاثين عاما . وها أن الشوارع في كل المدن تقريبا تحمل دون تحرج اسم أرلوزوروف . وما يزال التحريفيون يدفعون عن أنفسهم مسؤولية أغتيال هذا الرجل ، ويدعون أن ذلك قد حدث عرضاً عشية الانتخابات من أجل تمرير مساومة سياسية بكل ما صحبها من أعمال منافية للشرف : مثل الشهادات الباطلة ، وأختفاء الذين كانوا يسعون خلف الحقيقة ، اتلاف واخفاء كل محاضر جلسات البوليس . ها أن خمسين سنة قد مرت على حدوث هذه الجريمة ، وما يزال الاشتراكيون المزعومون في الحكم يعارضون بكل حزم اجراء أي تحقيق في هذه القضية . ص ١٩٠

ما هو اذن وجه الاشتراكية المزعومة في ما يسمى بدولة اسرائيل ؟ هذه أشتراكية من نوع خاص ! انها لا تشبه الاشتراكيات الاخرى ، بالرغم من أن لها عدة نقاط التقاء معها . ففي فلسطين المحتلة ، يوجد هؤلاء على رأس السلطة ، الا أن الاقتصاد يرتكز على نظامين : « اشتراكي » ورأسمال خاص ! ان هذا التكافل يقود أحيانا الى نتائج غير منتظرة ومشؤومة . ص ١٩١

(...) ومن جهة أخرى ، تبرز بوضوح الجوانب السلبية للاشتراكية الاسرائيلية المزعومة : سوء التصرف الذي يتلف كل شيء ، وبيروقراطية الحكومة التي تسحق كل مبادرة خلاقة ، وتفشي السرقة والفساد على مستوى الحكومة ، اضافة الى الغباء السياسي واللامبالاة التي تميز غالبية السكان .

يشرح أحد أصدقائي ، وهو أقتصادي من موسكو وما يزال يشغل نفس منصبه في اسرائيل ، وجه ما يسمى بالاشتراكية « الاسرائيلية » فيقول: « انه مقسم الى جزءين : اذ وقع الاخذ بالجوانب السلبية «للاشتراكية » وبالجوانب السلبية للرأسمالية أيضا . وهذا يعني أن الجوانب الاقل جاذبية لكلا النظامين قد وقع الجمع بينهما . وهو ما يقدم الى العالم بأسم « الاشتراكية » الاسرائيلية » .

ان النمطين الاقتصاديين : الخاص والوطني يتعايشان على صعيد نفس البرنامج الاقتصادي ، ويشكلان ، في نقطة التقائهما ، مكاناً ملائماً للسرقة والفساد دون التعرض للقصاص • ص ١٩١

(•••) ماذا يمكن أن يقال عن « خط بارليف » الدفاعي الذي أقيم على قناة السويس ؟ عشرات من المقاولين قد أغتنوا ، وأصبح كل واحد منهم مليونيراً ، في تشييد هذه القلعة المحصنة التي سقطت ذات يوم مثل برج من ورق اللعب خلال حرب تشرين •

ان بلداً أكبر حجماً مما يسمى بدولة اسرائيل ، كان مصيره الافلاس التام ، لو تعرض الى ما تعرضت اليه هذه الاخيرة من سرقات متكررة وعلى نطاق واسع • أما الصحافة فانها لا تورد سوى فضائح جديدة مكتشفة من قبل البوليس ، وتضرب صفحاً عن الفضائح الاخرى •

واليكم مقتطفات من مقال منشور في مجلة « بلادنا » عدد كانون الثاني ١٩٧٤ ، تحت عنوان (البوليس يكتشف بضائع مسروقة في ميناء أشدود) :

« عشرون صندوقاً مقاوماً للصدأ ، آلة لتحويل المعادن ، حفارة مائية وصفائح من الفولاذ يقدر ثمنها بنحو (٦٠٠) ألف ليرة ، ليست سوى جزء ضئيل من البضائع المسروقة التي أكتشفها البوليس داخل مخازن غير مجازة في مدينة « النقب » •

لقد أختفت كل هذه البضائع خلال الاشهر الاخيرة في ميناء أشدود، وألقي القبض على خمسة أشخاص متهمين بالسرقة ، ويشتبه في كونهم يشكلون طرفاً في عصابة كبيرة أستطاعت أن تجر الى صفها أثنين من العاملين في الميناء • كما أستطاع البوليس أن يكتشف مخازن تحتوي على بضائع مسروقة في « بتاح تكفا » وفي أماكن عديدة أخرى من البلاد • البحث متواصل • وينتظر أن يلقى القبض على عناصر أخرى » •

توجد السرقة والنهب في كل مكان من العـالم ، وليس في الكيـان الاسرائيلي فحسب ، ولكنني أرى أنه لا يوجد مكان في العالم يكون الجو فيه ملائماً للسرقة بمثل هذه الدرجة مثلما هي الحال في فلسطين المحتلة ، حيث تعطي خصائص الاشتراكية الاسرائيلية المزعومة ، وسوء التصرف ، وغياب الرقابة في ميدان التجارة الضوء الاخضر للمضاربين • كما أن الضمان الذي توفره مبالغ الصندوق اليهودي العالمي يسمح للحكومة « الاشتراكية » بعدم القلق ، وبالانشغال بشيء واحد : وهو التشبث القوى بالمقاعد الوزارية التي تحتلهـا •

وتمثل النقابات التي يشرف عليها الحزب ، ومنها « الهيستدروت » ، أي الرابطة العامة لعمال «اسرائيل» ، واحـدة من أدوات النفـوذ التـي تستخدمها السلطة • ان هذه النقابات فريدة من نوعها شأنها شأن ما يسمى بدولة اسرائيل ذاتها • فهي من جهة ترفع الراية الحمراء ، ومن جهة أخرى تستغل العمال أستغلالا فاحشاً • وهي لا تدافع عن مصالح هؤلاء (ودفاعها ديماغوجي) الا اذا تعلق الامر بمؤسسات تعود الى القطاع الخاص ، حيث تعمد الى تحريض العمال على الاضراب • وبهذا تصفي حساباتها في حقيقـة الامر مع منافسيها في القطاع الخاص وتذهب بالحيـاة في اسـرائيل مذهب الفوضى التامـة •

وأود أن أورد هنا ما كتبه « رابينوفيتش » في مجلة « الى البيت » عدد آذار ١٩٧٣ :

« •• ان مردود المؤسسات التابعة « للهيستدروت » غير كافٍ ، كما ان الانتاجية منخفضة بالمقارنة مع انتاجية غيرها من المؤسسات التابعة للقطاع الخاص ، اضافة الى أن ظروف العمل فيها سيئة • ويعرقل جمود الجهـاز البيروقراطي للمؤسسات النقابية التطور الاقتصادي للبلد ، ويقضي على روح المنافسة داخل هذه المؤسسات • بل انه يدفع بالحكومة نحو الالتجـاء الى الاستثمارات الخاصة • واليوم تقف الهيستدروت حجر عثرة أمام تطور بادرة

القطاع الخاص ، كما أن المؤسسات اليهودية في الخارج غير مسموح لها بأستثمار أوسع للرساميل في اسرائيل •

وهذا قائد الهيستدروت وسكرتيرها العام اسحاق بن آرون ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي يعترف نفسه في لهجة مازوشية :

— نحن نبدد أموال المؤسسة من أجل خلق طبقة غنية •• ان من هم على مقربة من الخزينة يزدادون ثراء • ولا أحد يمكنه الاثراء في هذا البلد دون ترخيص من الحكومة • ويمنح هذا الترخيص شخصان أو ثلاثة أشخاص •

«•••» ماذا يمكنا أن نضيف الى هذا الاعتراف !

ان قادة اسرائيل مخادعون •• يستر الواحد منهم خطيئات الآخر ، ويتبادلون الحاق الخطأ فيما بينهم ، فيما تمضي الحياة في أتجاهات متعرجة على طريق الاشتراكية المزعومة •• وهكذا تتجاور في مدينة تل أبيب وحدها أحياء « الحاتيكاح » « الامل » القذرة وحي « ساريان » حيث تختفي البيوت ، الواحدة أجمل من الاخرى ، في غابات الصنوبر ، مثلما هي الحال في فلوريدا أو ميامي •

هناك (١٣٢) ألف عائلة (أي ما يعادل نصف مليون شخص) من أصل (٦١٤) ألف عائلة « اسرائيلية » تعيش على الشحاذة أو في حدود ذلك • وفي (٦٩) آلف عائلة (أي ٣٠٠ آلف شخص) يعيش شخصان أو ثلاثة أشخاص في الغرفة الواحدة •

لنتوقف عند هذه الارقام • في ما يسمى بدولة اسرائيل هناك واحد على ثلاثة يهود يعيش على شحاذة رسمية ومعترف بها • وتنشر الاحياء مثل أحياء « كاتامون » على البلد بأسره روائح المخدرات والبغاء والجريمة • في حين يظهر على الطرق المحفوفة بأشجار النخيل في « الحرزلية » أبناء الاغنياء الجدد ممن يتبعون قطيع كبار الموظفين في حزب العمل مثل الخيول السمينة ذات الدم النقي •

لكيان اسرائيل المزعومة اذن هذان الوجهان .

ان معرفة دقيقة بواقع الحال في فلسطين المحتلة تقود دائماً نحو أكتشافات جديدة ، تكون الواحدة منها أكثر غرابة من الاخرى . وهنا يفقد تاج « الاشتراكية الاسرائيلية » المتمثل في الكيبوتزات (أي التجمعات الفلاحية) بريقه الدعائي ان نحن خدشنا قليلا واجهته . ص١٩٥-ص١٩٩

ان ما تشله هذه التجمعات لا يمت للاشتراكية بصلة . بل انها الرأسمالية بلحمها وعظمها ، وبعفنها أيضا .

لقد باتت الكيبوتزات ، واجهة ما يسمى بالاشتراكية « الاسرائيلية » منذ وقت بعيد مكائن للصدقة وبؤرة للمستغلين . وتتمتع هذه المؤسسات « الاشتراكية » ذات الشهرة الفائقة باعفاءات وتخفيضات لا بأس بها في مجال الاداءات الجبائية . ان ما ينبغي تسجيله هنا هو أن الكيبوتز الواحد يستغل يداً عاملة « خارجية » ، وهو ما يعرف في النظام الرأسمالي بالقيمة الزائدة .

ففي الكيبوتزات ، يلاحظ أن كل عمليات البناء والمتعلقة منها خاصة بالمسارح وأحواض السباحة الشهيرة تتم على أيد عاملة « خارجية » هي أيدي العرب والدروز . ويحصل هؤلاء على أجور منخفضة جدا ، ولا يتمتعون بأي ضمان أجتماعي يذكر .

وتقوم اليد العاملة « الخارجية » بالاعمال الموسمية أيضا ، وهي الاعمال التي تتم في الحقول والمغارس ، ومنها خاصة جني المحاصيل .

وخلال الاعوام الاخيرة تفرغ عدد كبير من الكيبوتزات التي ترغب في الحصول على أرباح مهمة الى انشاء مؤسسات صناعية جاعلة بذلك الزراعة في مرتبة ثانية ، وهي التي كان قد أقيم من أجلها نظام الكيبوتزات أساساً . ونجد في هذه المنشآت الصناعية والمربحة في نفس الوقت عدداً كبيراً من

العمال سكان المدن المجاورة • وحسب تحقيق نشرته مجلة « نحن » فان ٦٠٪ من عمال الكيبوتزات في مجالات التعدين والصناعات الخشبية والغذائية هم من « الخارج » •

وليس هذا كل ما في الامر • فان الاعمال الروتينية ، مثل الطبخ والغسيل الجماعي وغيرها ، متروكة هي الاخرى ليد عاملة خارجية • ويأخذ الاستغلال في هذا المجال أكثر الاشكال وضوحاً وغرابة •

لقد التقيت مرات عديدة داخل قاعات الاكل في الكيبوتزات بنادلات وطباخات غير يهوديات • كن فتيات من ألمانيا ، وهولندا ، والسويد ، وفرنساء تأتي السائحات الاجنبيات ، وتحت تأثير الدعاية حول طبيعة الحياة داخل الكيبوتز بأعتباره « تجسيداً للعدالة الاشتراكية » بأعداد كبيرة الى فلسطين المحتلة مدعوات لقضاء عطلهن ومستفيدات من رخص تذاكر السفر والرحلات التي تنظمها كافة شركات السفر في العالم تقريبا ••• وعند وصولهن يقمن في الكيبوتزات ، فوق رؤوسهن سماء زرقاء وظلال النخيل • ويكون أكلهن ومبيتهن مجانين • ولكن •• من أجل الحصول على كل هذا ينبغي العمل والعمل المضاعف دون مقابل • ويكون العمل أحياناً في الحقول •

والفكرة في حد ذاتها لا تعكس غباء أصحابها • ونعني بها فكرة الحصول على يد عاملة مجانية لا تكلف غير الاكل والمنام •• هكذا يقضي آلاف السواح ، من هذا الصنف بالذات ، اقامتهم في فلسطين المحتلة • وتصبح اقامتهم مورداً لعائدات هامة تنقذ أقتصاد الكيبوتزات •

أين هي العدالة التي طبقت شهرتها أنحاء عديدة من العالم ؟ وأين هي الاشتراكية ؟

وليس من باب الصدفة اذن أن نرى الشباب الذي ولد وترعرع داخل الكيبوتزات يهجرها ويسكن المدن تاركاً خلفه الشيوخ يقضون أيامهم الاخيرة في قاعات الاكل الجماعية أمام كوب من الشاي دُفعَ ثمنه من الخزينة الامريكية .

ومنذ عهد قريب نشر الاقتصادي « روث زلبربرغ » الذي يعمل بوزارة المالية نتائج أبحاثه : اذ أكتشف أن عدد سكان التعاونيات الزراعية اليهودية قد أنخفض فجأة خلال الاعوام الاخيرة . فاذا كانت نسبة ٥٠ر٨٪ من سكان الكيان الصهيوني تقيم بالمدن فان النسبة قد أزدادت كي تصل في أيامنا هذه الى ٩٠٪ . ص٢٠٠- ص٢٠٣ .

فبأي مال تبني « اسرائيل » أشتراكيتها المزعومة اذن ؟ ومن أين تأتي الرساميل التي تغذي ميزانيات الحكومة وميزانية الحزب ؟

ان بامكان أبسط طفل أن يجيبك بأنها تأتي من الخارج ، من الصندوق اليهودي العالمي على شكل هبات وقروض . ونفتح قوساً هنا لنقول اذ الاشتراكيين الاسرائيليين المزعومين يعارضون بشدة رجال الاعمال اليهود الذين يرغبون في تركيز الرساميل داخل البلاد . ويفضل الاشتراكيون المزعومون أستلام المال بأية وحدة نقدية كانت ، ولكن فقط على شكل هبة . ص ٢١٠ .

وهناك مظهر آخر لما يسمى بالاشتراكية القومية يتجلى في أستخدام اليد العاملة العربية المستوردة على نطاق واسع من الاراضي المحتلة .

ففي فجر كل يوم تتجه من مدن نابلس ، وحبرون ، وبيت لحم ، وغزة مئات الشاحنات نحو الخط الاخضر (حدود عام ١٩٦٧)محملة بمواطنين عرب متراصين ، كتفاً بكتف ، وعلى رؤوسهم مناديل بيضاء يشدها عقال. انهم يعملون في كل ساحات التعمير تقريبا ، وفي عدة معامل وورشات ، وفي

مغارس الاشجار المثمرة والخضر • كما نجدهم في عمليات تبليط الطرقات وأقتلاع الاشجار ورفــع الازبال • وخلافا لما هــو موجود في أوروبا فان ساحات التعمير أقل تقنية في «اسرائيل» ، ذلك ان السواعد العربية رخيصــة هنا وتكاليفها أقل من تكاليف الآلات المستوردة • وزد على ذلك ما يمكن أن يكلفه البنزين والمحروقات الاخرى التي أرتفع سعرها •

ومما لاشك فيه أنه لولا هذه السواعد السمراء ، المعتادة على الشمس المحرقة وعلى الرياح العاتية ، لكان مصير أقتصاد البلاد الدمار التام منــذ أمد غير قصير • وتعتبر اليد العاملة العربية المربحة الى حد بعيد عاملا من عوامل الربح بالنسبة لعدة مؤسسات • أما فيما يتعلق بظــروف العمــال العــرب ، فأن مقالا بعنــوان « اليوم في بئر السبع » منشــورا في المجــلة الحكومية « بلادنا » عدد ٢٤ شباط ١٩٧٤ يعطينا فكرة متكاملــة عنهــا • كتب « ميشولام » في مقاله هذا ما يلي :

« •• يقدر عدد العمال العرب في مجال البناء ببئر السبع وحدهــا بثلاثة آلاف • ويعمل أغلبهم في مؤسسات تابعة للقطاع الخاص تحصــل على أرباحها من خلال ضعف الاجور وحرمان العرب من حــق الضمــان الاجتماعي • » ويورد المقال بعد ذلك كلمات لمدير مؤسسة تستخدم وحدها (١٢٠٠) مواطناً عربياً كعمال • ويعترف المدير بأستلام أمر من الجهات العليا يقضي بتشغيل أكبر عدد ممكن من العرب تجنباً لكثير من المشاكل التــي تحدث بالتأكيد فيما لو كان المستخدمون من الاسرائيليين • ص٢١١ـص٢١٣

ولو نظرنا الى ظاهرة الشحاذة لوجدناها ضاربة في القدم • فهــي لم تكن في يوم من الايام مهنة وحسب ، وانما فلسفة ، وخاطرة • والانكى من كل ذلك أنها باتت تشكل جزءاً من التقاليد اليهودية ، على الرغم من أن سحنة اليهود قد أذنت بالتلاشي أو تكاد •

وهكذا يكون كيان « اسرائيل » قد تعمد اتلاف كل التراث اليهودي عدا الشحاذة التي أقرتها بغاية السرعة • وأصبحت « اسرائيل الاشتراكية » بذلك الوريث الشرعي لتقاليد المحترفين في عالم الشحاذة ، واليوم نجد الآلاف من الاسرائيليين فيها وعلى مستوى الجهاز الحكومي ، وعلى مستوى بعثاتها في كل أنحاء العالم يشحذون مثلما كان يفعل أجدادهم في الشوارع المغبرة داخل القرى • انهم لا يلبسون أسمالا بل بدلات أنيقة فاخرة • هم لا يمشون حفاة الاقدام بل يقودون سيارات فارهة • هم لا يطلبون مليمات معدودة من يهود آخرين وانما ملايين ومئات الملايين من الدولارات كافية لسد حاجة الدولة ذات الثلاثة ملايين نسمة • ان الشحاذين المعاصرين من اليهود لا يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، فجوازاتهم هي أستمالة المشاعر القومية وحفر جراح الخوف من اللاسمية ، وحين لا يكون ذلك كافياً نجدهم يلتجئون الى شق طريقهم نحو حافظة النقود اما بالقيام بمساومة مخزية أو بمسك أولائك الذين لا تؤثر فيهم أساليب الدعاية من رقابهم • ص ٢١٤ - ص ٢١٥

على غير ما هو متبع « في بقية بلدان العالم ، فان « الاسرائيليين » لا يحاولون الاقتصاد في نفقاتهم • انهم ينفقون دون حساب •• ان هذا النوع من التفكير قد قتل فيهم كل امكانية للابداع • فالمهم أنهم ، أي الاسرائيليين ، يحصلون على المال دون تحمل مشقة ، وركوب الاخطار ، ودون ارهاق عقولهم الغارقة في محيط من الشحم •

لقد باتت « اسرائيل الاشتراكية » حشرة طفيلية تعيش متشبثة بظهر الصندوق اليهودي العالمي ، أو اذا التزمنا الدقة قلنا انها تعيش متشبثة بظهور العمال الوافدين من كل البلدان حيث يعيش يهود • ص ٢١٦

الفصل الثامن

النفوسُ الميّتَة

ان الذين ينسحبون ثم يغادرون فلسطين المحتلة هم أناس نشطون وأكفاء ممن يستلكون شهرة وموهبة فنية ما • والجو العام في البلد لم يألف مثل هذا الصنف من الناس ، لذلك تراهم يفقدون ثقتهم بأنفسهم ثم يهربون دون عودة مضاعفين بذلك عدد « النفوس الميتة » التي تعج بها الاحصائيات « الاسرائيلية » • وتعود هذه النفوس الى الحياة ، بعد أن أفلتت من مخالب ما يسمى بدولة اسرائيل القاتلة : يعود أصحابها الى الحياة حاملين في جيوبهم جوازات سفر مختلفة ، ويفردون من جديد اجنحتهم التي فقدت عادة التحليق • ها أن أسماءهم تتردد اليوم باحترام شديد على ألسنة الذين لم يحالفهم الحظ ، أولائك الذين يرون في كل من يغادر ما يسمى بدولة اسرائيل الى الابد مثالا حياً لمستقبل مشرق •- ص ٢٢٧ – ص ٢٢٨

لقد فقدت الحكومة « الاسرائيلية » وما تزال تفقد ، مئات الآلاف من أصحاب الكفاءات الذين لايمكن أن يستغني عنهم البلد • والذين لم يكن بوسعهم أن يفتحوا مواهبهم في ما يسمى بدولة اسرائيل فغادروها كي يظهروا ابداعاتهم في الخارج •

(•••) اذا أردت أن تعيش هناك فيجب أن تكون اما مثالياً أو مجنوناً، وليس العكس •

الجو هنا هو أسوأ الاجواء • وحتى يستطيع المرء أحتمال هـذا الجو ينبغي أن يكون « مؤمنا » أو غبياً • فالاداءات في فلسطين المحتلة لاتحتمل، اذ ينبغي أن تدفع كل ما يمكنك جمعه من مال •

كيف يمكن أن يكون كل هذا مقبولا ؟ اذن ، ينبغي أن يكون المرء مثالياً أو غبياً مائة بالمائة !

ففي ما يسمى بدونة اسرائيل يكون المرء أكثر عرضة منه في أي مكان من العالم للانتحار : كأن يصوّب مسدساً الى دماغه ويفرغ فيه رصاصة ، أو كأن يموت أي موت آخر غير الموت الطبيعي •

واليوم تعتبر السخرية من المثاليين الذين ما زالوا يحتفظون بشيء من القداسة في قلوبهم من المسائل الشائعة هناك • أما المهاجرون من اليهود السوفيات ، ومنهم خاصة أولائك الذين لم يمض وقت طويل على تواجدهم في «أرض الميعاد» والذين ينوؤن تحت حمل ثقيل يتمثل في الافكار المثالية حول الصهيونية ، فقد أستفاقوا مؤخرا كمن ألقي عليه ماء بارد • وما برح صوتهم نشازاً في مجتمع الاستهلاك هذا ، حيث تتحكم النزعة البرغماتية في أفراده على نحو متصاعد •   ص ٢٣١

بل ان الهروب يبدأ قبل الوصول الى الحدود الاسرائيلية ، وبالتحديد في مدينة « فيينا » نقطة التوقف الوحيدة في رحلات المهاجرين من اليهود السوفيات ، يصل هؤلاء بواسطة الطائرات والقطارات الى النمسا حيث تكون في أنتظارهم طائرات البوينغ التابعة لشركة « العال » الاسرائيلية التي تحمل أجنحتها نجمة داوود ، والتي ستقلهم الى البيت ، الى « اسرائيل » •

وفي « ڤيينا » يتثاقل جميع اليهود • وتراهم لا يتهافتون على الصعود الى الطائرات ذات الابواب المشرعة ، ولكنهم يترصدون غفلة المسؤولين الاسرائيليين كي يلقوا بأنفسهم في أحضان ممثلي « هياس » (الصندوق اليهودي الموحد ، وهو عبارة عن منظمة يهودية عالمية) الذين يقودونهم الى روما ، حيث يستحصلون لكل واحد منهم تأشيره تمكنه من الدخول الى أي بلد ، حتى لو كان نيوزيلاندا • ص ٢٤ ـ ص ٢٣٥

(•••) أما بالنسبة لمن يعتزم مغادرة فلسطين المحتلة فعليه أن يدفع مبلغاً مالياً معيناً اضافة الى سعر بطاقته وهو مبلغ يفوق بكثير امكانيات اليهودي المهاجر من الاتحاد السوفياتي • ويستقبل في مكاتب السفر ببرود تام ، وتبذل معه محاولات بغية اثنائه عن المغادرة وتركه في هذا البلد مكتوف اليدين والرجلين رغم ارادته • وتجد الاوساط الحاكمة صعوبة في ترويض اليهود السوفيات • فهي لا تجرؤ على مطالبتهم بحب « اسرائيل » التي تظهر لهم كما هي وليست كما تصورها الدعاية الصهيونية • ويضطر هؤلاء الى بيع كل ما تبقى لهم حتى ملابسهم ، فيبحثون لدى الاقارب والاصدقاء عمن يشتريها منهم • ثم من مطار اللد حيث كانوا قد وضعوا أولى خطواتهم على الارض المقدسة التي طالما تاقوا اليها ، يطيرون خفافاً وهم يلعنون هذه الارض وهذا البلد الذي خيب آمالهم وأصاب حياتهم في الصميم حين أودي آخر أمل لديهم • ص ٢٣٦ •

تعمد السلطات « الاسرائيلية » الى اخفاء عدد الهاربين من البلاد ، وهو يقدر بالآلاف ويتزايد بأستمرار • ولقد أقامت مؤخرا عراقيل جديدة في طريق من يعتزمون الهروب • وتحت تأثير ما يسمى بدولة اسرائيل ، عمدت الحكومة الايطالية الى تقليص عدد التأشيرات الممنوحة ، ويشمل هذا الاجراء أساساً اليهود السوفيات • ذلك أن هؤلاء على خلاف غيرهم لا يمتلكون جوازات سفر دائمة ، وانما اجازات مرور • ص ٢٣٧

ان الذين حالفهم الحظ وتمكنوا من الخروج يستعيدون أنفاسهم شيئا نشيئاً في روما مثلا حيث ينزلون بملاجىء مؤقتة خاصة بالمهاجرين وهناك يستلكهم الهلع كلما تذكروا « اسرائيل » ، فيدفعون عنهم هذه الذكريات كما لو كانت كوابيس حقيقية ، يتخلصون في نفس الوقت من آخر ما تبقى لهم من مشاعر قومية • انهم على أستعداد لتغيير جلدهم ، للتعرض الى عملية جراحية تجميلية تغير لهم وجوههم وتخفي من أجسادهم أبسط الدلائل على أصلهم اليهودي • ص ٢٤٢ – ص ٢٤٣

(•••) يطرح الاسرائيلي « أ • ليفن » هذا السؤال المر على صفحات مجلة « يارتز » :

« هل نحن نعيش حقا في حلقة مفرغة ، أم ماذا ؟ ها أن البادرة تجهض، والمستوى المعاشي ينخفض ، والناس ينقلبون الى لا مبالين أو تافهين ، والجريمة تهزم القانون ، وحشد فوضوي من الموظفين يتخم بما تدره عليه الاداءات المقتطعة من جهد الشعب ، والبيروقراطية تشل حركة المجتمع » • ص ٢٤٨ •

الفصل التاسع

الجُرح الفاغر

(...) انني ـ أنا الذي أعيش في ما يسمى بدولة اسرائيل ، والذي قامـرت ليس بحياتي فقط ، وانما بحياة أطفالي أيضا ـ بعيد عن أن أرى المستقبل باسماً . ص ٢٥٨

الفصل العاشر

اليهود السوفيات : عمُلة متداولة في صَفقة خاسرة

(...) قضت عائلة « ساليوتين » المنحدرة من مدينة « **مينسكك** » سنة كاملة ببئر السبع الواقعة في جنوب فلسطين المحتلة ، في قلب صحـراء « النقب » . الزوج والزوجة طبيبان . لديهما طفلان . وقبل مغادرتهـم للاتحاد السوفياتي بأتجاه ما يسمى بدولة اسرائيل ، كان لابد للعائلة من أن تدفع ألف دولار عن كل فرد من أفرادها ، وباعت كل ما تمتلكه ، ولم تجلب معها الا الضروريات : ملابس ، وكتب ، خاصة المكتبة التي تمثل في الاتحاد السوفياتي جزءا لا يتجزأ من كل عائلة مثقفة .

بعد مضي سنة واحدة ، أتضح لديهم أن رحيلهم قد كان خطأ فادحاً. أما طريق العودة الى « مينسك » فقد قطع عليهم . لذلك قرروا ، وهم يعيشون حالة يأسٍ قاتلة ، أن يستقروا في ألمانيا بعد أن انتهى الى مسامعهم خبر يتعلق بحاجة هذا البلد الى أطباء . لقد كانت لديهم شقتهم الخاصة في الاتحاد السوفياتي ، ولديهم أمتعة حصلوا عليها طيلة سنوات قضوها في الكدح . وهناك كان لديهم أقارب وأصدقاء يمكن الالتجاء اليهم دائماً في الحالات الطارئة . أما في ما يسمى بدولة اسرائيل فانهم يعيشون في عزلة قاتلة ولايمتلكون متاعا . وقبل هروبهم منها كان عليهم أن يدفعوا فدية لقاء أستعادتهم لحريتهم .

« ان « سفتلانا » و « ايفيم ساليوتين » وطفليهما لا ينفردون بهذا الوضع : فذلك نصيب المئات من العائلات اليهودية السوفياتية المهاجرة التي توفر لديها قدر كبير من الارادة والحيوية مكنها من الهروب بعيداً ، ولكن هذه المرة من الكيان الاسرائيلي ذاته ص ٢٧٤ ـ ص ٢٧٦

الفصل الحادي عشر

« حمْرة المرض »

(...) حقاً ، ان اليهود لم يعرفوا أبداً ، خلال تاريخهم ، رخاءً كالذي عرفوه في أمريكا ، ولم يتسن لهم العيش في ظروف حسنة الا في أمريكا ، ولم يبد تأثيرهم ، في أي بلد ، قوياً الى هذه الدرجة ، كما أنهم لم يتوغلوا في عالم المناصب العليا ، في أي مكان اخر غير الولايات المتحدة الامريكية .

لست من المختصين بالشؤون الامريكية ، ولم أولد في هذا البلد ، ولم أقرأ مراجع الاستخبارات الامريكية الضخمة والبحوث المتعلقة بيهود أمريكا والتي تفيض بها المكتبات (...) ولكنني فنان يجيد المراقبة . فلقد طفت في أنحاء أمريكا راصداً بنهمٍ وحماسٍ حياة مواطني فيما وراء الاطلنطي ، وحاولت أن أفهم أفراحهم وأتراحهم ، وأن أتبين مصيرهم الطافي على سطح الحياة المضطربة ليهود القرن الحالي .

كانت تنتصب أمام عيني رفاهية وهمية فيما كان الخوف والقلق المنعكس في أعين اليهود حاضرين أبداً . هذا الخوف وهذا القلق هما اللذان يسمحان في كل دول العالم ، بالتعرف على اليهودي دون غيره .

ان الحمرة المتألقة التي تزين وجوه يهود أمريكا لم تخدعني • فهذه الحمرة تظهر عادة مع الحمى ، أو عندما يكون المرء مصاباً بالسل • انها حمرة المرض التي تخفي تحتها داءاً غادراً يصعب على الحواس ادراكه وهو ينخر الجسد • ص ٣٠٧

الفصل الثاني عشر

دَقّة حُزن

في يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ تحقق أخيراً هذا الحلم الذي دام ألفي عام : اذ بأغلبية ٣٣ صوتاً مقابل ١٣ مع أمتناع عشر دول عن التصويت، أتخذت منظمة الامم المتحدة القرار القاضي بانشاء دولة يهودية فوق جزء من الاراضي الفلسطينية • اني أشدد على كلمة « تاريخي » لانه ، مع أزمة البترول الحالية التي تهز أروبا ، يتركز أنتباه العالم أجمع ، شاء أم أبي ، على الشرق ، وربما سيكون مصير القدس تلك الشرارة التي ستشعل نار حرب عالمية ثالثة سوف تستخدم فيها أسلحة الدمار الجماعي ، ويصبح من الواضح الان أمام الانسان المنذهل أن هذا القرار التاريخي ليس في الحقيقة الا شحنة من الديناميت المعلقة على بترول العالم النفطي •

ان هذا القرار المكدر ، الذي أستقبله يهود العالم أجمع بفرح عارم ، يوقع في الحقيقة حكم الاعدام غير القابل للاستئناف على الافراد هناك •

ولدت دولة ما يسمى باسرائيل وسط معاناة فظيعة•• وقد أقصت النزعات السياسية التي كانت ما تزال متوهجة بعد الحرب العالمية الثانية المنتهية لتوها القضية الفلسطينية ، وجعلت منها موضوعاً تقليدياً للمساومة السرية• ولم يبحث العالم بأجمعه هذه المسألة بجدية ، لان القضية بالنسبة له لم تكن متعلقة الا بمصالح ثانوية •   ص ٣١١

(...) ولتبني مشروع أقتسام فلسطين ، كان من الضروري جدا الحصول على أغلبية ثلثي الاصوات ، وكان كل صوت يساوي وزنه ذهباً. وقبل أسبوع من التصويت في الامم المتحدة قابل « حاييم وايزمن » الرئيس « ترومان » وعرف كيف يقنعه بأنه كان ينبغي أن تشكل « النقب » جزءاً من « الدولة اليهودية » . وهكذا تخلت الولايات المتحدة عن معارضتها لقرار التقسيم .

ثم أجرى الدكتور « وايزمن » أتصالا هاتفياً مع « ليون بلوم » رئيس حكومة الاشتراكيين الفرنسيين آنذاك ، وحصل منه على وعد بعدم أمتناع الوفد الفرنسي عن التصويت ـ وهو ما كان العالم ينتظر منه ـ ، بل التصويت لصالح التجزئة . ص ٣١٢

لقد مضى أكثر من ربع قرن من الزمان على تلك الايام التاريخية : ربع قرن من الصراع الدائم والدامي من أجل الحفاظ على ما قد تم انشاؤه بشكل أصطناعي في قاعة الاجتماعات التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . وفي غضون تلك الفترة بُلي الشرق الاوسط بحرب قاسية ومستمرة تضطرم حيناً وتخف حدتها حيناً آخر ، هازة بقية العالم وواضعة اياه أحيانا على شفا الكارثة . ص ٣١٣

لم تصبح « اسرائيل » المصطنعة ، رغم تنبؤات القادة الصهاينة المغناطيس الذي يجذب اليه اليهود في كافة أنحاء العالم . وفي خلال ربع قرن من الزمان لم تستطع هذه سوى جمع شمل الخمس فقط ، على أرض فلسطين القديمة ، من العدد الاجمالي الذي يؤلفه اليهود الموالون لما يسمى بدولة اسرائيل والموجودون خارجها ... واليوم يوجد في نيويورك من اليهود أكثر مما يوجد في فلسطين المحتلة كلها ، وفي باريس أكثر مما في تل أبيب وفي لندن أكثر مما في القدس . ص ٣١٣ .

(...) ورغم كل التكهنات فان انشاء الكيان الصهيوني لم ينفث دماً جديداً في الشرايين العتيقة ، بل بالعكس فقد حصد الافراد هناك وأعطى سرعة مذهلة لعمليتي التدهور والانحلال • وأنهارت الجماعات اليهودية الواحدة تلو الاخرى ، وتضاءلت أعدادها ، وفقدت اعضاءها ولكن ليس على أساس الهجرة الى فلسطين المحتلة وانما في زيجاتٍ مختلطة ، وتحول عن الديانة ، وهرب محموم عن كل ما هو يهودي الى أعماق « التمثل » : المنقذ الوحيد • ص٣١٤

الفصل الثالث عشر

زيارة السَيدَة العَجُوز

ان ما يسمى بدولة اسرائيل مدانة . لذلك سوف لن يكتب لها البقاء في أحسن الاحوال أكثر من عشر سنوات أخرى منذ هذا التاريخ . ولسوف تختفي الى الابد من على خارطة العالم عام ١٩٨٥ . ص ٣٤٢

(...) واني اذ تكلمت عن السيدة العجوز فأنا لم أكن أعني فقط بطلة مسرحية « دورنمات » (كاتب مسرحي سويسري شهير) ، وانما كنت أريد أن أذهب الى أبعد من ذلك .

لقد رمز الخيال الشعبي للموت منذ عهود سحيقة بامرأة عجوز عمياء تحمل في يدها منجلا كبيراً . وهذه هي المرأة العجوز التي أتوقع وصولها عند عتبة بيتي .

انها واقفة : المنجل مرفوع في يدها ، وهي على أتم استعداد لطمس مصير اولئك الافراد .

هي ذي واقفة : الجمجمة خالية من العينين .. انها تراقب انتفاضة الموت الاخيرة لهؤلاء « القوم » !

أعرف أنني سوف أتهم ، اثر قراءة هذا الكتاب ، بأرتكاب كل ذنوب البشرية ، لعل أبسطها سيكون أتهامي بالتشاؤم . أجل أنا لا أخفي كوني

متشائما . هكذا خلقتني الحياة وكل ماوقعت عليه عيناي . فأنا لم التـق الا مرة واحدة بمتفائل من أصل يهودي ؛ كان ذلك في مستشفى مجانين حيث دعاني عمداً صديق لي يعمل طبيباً نفسانياً كي أشاهد تلك المعجزة .

انا نلفظ نفسنا الاخير . وان أعتراضنا على أندثارنا مثلما فعلت الاجيال السابقة سوف لن يجدي شيئا : لقد تغير الزمن وتغيرت وتيرة الحياة .

ها أن القرن العشرين يشرف على نهايته . والقرن الآتي سوف لن يلتقي ما يسمى بالشعب اليهودي .

الفصل الرابع عشر

اليهود في العالم

أمريكا

الولايات المتحدة الامريكية = ٦ ملايين

كنــدا = ٢٨٠ ألف

الارجنتين = ٤٨٠ ألف

البرازيل = ١٦٠ ألف

الاورغواي = ٥٠ ألف

الايكواتور =٢٠٠/١

بوليفيا = ٥٠٠/١

الجمايك = ٦٠٠

سـلفادور = ٣٠٠

غيواتيسالا = ٣٠٠/١

هندوراس = ١٥٠

فينزويـلا = ١١ ألف

المكسيك = ٣٠ ألف

بنمـــا = ١/٨٠٠

شـيلي = ٣١ ألف

كولومبيـا = ١٠ آلاف

كوستاريكا =١/٥٠٠

كوبـا = ١/٩٠٠

بورتوريكو = ألفـان

باراغواي = ألف

كوراكاو = ٨٠٠

أفريقيا

الجزائر = ١/٥٠٠

مصر = حوالي ٣٠٠

أثيوبيا = بين ٢٥ و ٣٠ ألف (منهم ٣٠٠ يهودي أروبي فقط أما البقية فهم يهود فلاحون)

المغرب = ٣٥ آلف

تونس = حوالي ٩ آلاف

كيان جنوب أفريقيا = ١١٨ ألف

روديسيا = ٥/٢٠٠

كينيـــا = ٣٥٠

السودان = ألف

زمبيـا = ٦٠٠

آسيا

ايـران = ٦٥ ألف

العـراق = حوالي ٣٠٠

اليمـن = ٥٠٠

لبنان = ٢/٥٠٠

سوريا = حوالي ٤ آلاف

أفغنستان = ٥٠٠

الفيليبين = ٢٥٠

هونغ كونك = ٧٠٠

أندونيسيا = ١٠٠

سنغافورة = ٦٠٠

سـيام = ٣٥٠

تايوان = ٧٠

استراليا

٨٠ ألف تقريباً

أوربـا

النمسـا = ١١ ألف

بلجيكـا = ٣٥ ألف

بلغاريـا = ٦ آلاف

تشيكسلوفاكيا = بين ٨ و ١٠ آلاف (٤٥ ألف عام ١٩٤٨)

دنمارك = ٦ آلاف

فلندا = حوالي ١/٥٠٠

فرنسا = ٥٥٠ ألف

جبل طارق = ٦٥٠

اليونان = ٥٠٠ تقريباً

هولندا = ٢٢ ألف

اسبانيا = ٨ آلاف تقريباً

ايرلندا = حوالي ٥ آلاف

يوغسلافيا = ٦٫٥٠٠

امارة ليشتنشتاين = ٣٠ تقريباً

لوكسبورغ = ١٠٠/١

مالطا = ٤٠

امارة موناكو = ٦٠٠

ألمانيا الغربية = ٣٠ ألف

المانيا الديمقراطية = ٤٠٠/٢

النرويج = حوالي ٨٠٠

بولونيا = ٨ آلاف عام ١٩٧٢

البرتغال = حوالي ٦٥٠

رومانيا = حوالي ١٠٠ ألف

السويد = ١٣ ألف

سويسرا = حوالي ٢٠ ألف

تركيا = حوالي ٢٨ ألف

المجر = ٨٠ ألف

بريطانيا = ٤٥٠ ألف

ايطاليا = ٣٥ ألف

الاتحاد السوفياتي = مليونان وخمسمائة ألف

المحتويات

تصميم الغلاف : سلسبيل ناجي
الاشراف الفني : خضير عباس اللامي
الخطوط : خالد الخالدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
١٠٤٧ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م


MOHAMED KHATAB

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر



الثمن ١٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة - بغداد

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان